شياطين التواصل الاجتماعي: بين الهواية والغواية Social media trolls: between trolling and pastime

خالد مصطفى Khaled Moustafa

محرر الأرشيف العربي العلمي (arabixiv.org) Editor of Arabic Science Archive

البريد الإلكتروني: khaled.moustafa@arabixiv.org Email:

فتحت وسائل التواصل الاجتماعي الباب على مصراعيه لكل من هبّ ودبّ، بمن فيهم أولئك الذين لا يجرؤون في الحياة الواقعية على التصرف بشكل سيء أو إضرار الآخرين قولاً أو فعلاً، إما خجلاً أو خوفاً من عقوبة أو قانون، فيجدون في وسائل التواصل الاجتماعي متنفساً لهم يُفرغون فيه ضغائنهم وبواطنهم، حيث لا رقيب ولا حسيب إلا وعي الإنسان نفسه، ومدى فهمه للعلاقات الإنسانية مع الآخر، خاصة عند غياب أي وازع أخلاقي أو ديني أو قانوني يردعه عن البذاءة والفحش والإساءة إلى الآخرين على صفحات الإنترنت، إذ أن جميع الأديان السماوية والقوانين الوضعية تنهى عن مثل هذه التصرفات.

وفيما يلي بعض خصائص من يمكن تسميتهم (شياطين) أو (عفاريت) شبكات التواصل الاجتماعي، أو (شياطين الإنترنت) بشكل عام، نسبة إلى أفعالهم وسلوكهم المؤذي على الإنترنت، وقياساً إلى فئة أخرى ممن يظنون أنفسهم "أنبياء" (أو مُتنبّين) التواصل الاجتماعي¹. هناك صفات أخرى تطلق عليهم، مثل (الذباب الإلكتروني) أو "ترول" trolls بالإنكليزية، ولكن صفة "عفاريت" أو "شياطين" إلكترونية باللغة العربية قد تكون أكثر ملائمة من "الذباب الإلكتروني" لأن "شياطين الإنترنت" هم انعكاس مباشر لسلوك شياطين الإنس في الحياة الواقعية، ولأن الذباب مفيد في الطبيعة في كثير من الجوانب أما الشياطين، فلا.

وهذه بعض خصائص "شياطين الإنترنت" أو "عفاريتهم".

- قلة الاحترام، وبذاءة اللسان، والفظاظة، والفحش، واستسهال الألفاظ الدنيئة، والسخرية، والاستهزاء استغلالاً لمساحة الحرية التي يقدمها الإنترنت عامة و وسائل التواصل الاجتماعي خاصة، تحت أسماء مستعارة في كثير من الأحيان، مما يؤدي إلى ازدياد مظاهر الرذالة اللفظية والتتمّر والتحرش والاستفزاز، وما يولده ذلك من شعور وسلوك نفسي ومزاج متعكر لدى الشخص المستهدف لوقت قد يطول أو يقصر، حسب طبيعة الاستفزاز ومدته والألفاظ المستخدمة.

- تسطيح كثير من الأمور والاهتمامات، عمداً أو جهلاً، والتقليل من جدية أو فضاة الحالات الأساسية وتقليل التعاطف معها. وقد يؤلف شياطين الإنترنت أنفسهم مقاطع أو كتابات أو مرئيات (فيديوهات) لغاية التشويه أو كوسيلة من وسائل الضغط النفسي والتشهير والابتزاز وقلب الحقائق.
- غالباً ما تتوافق أهواء الشياطين الإلكترونيين مع أهواء "أنبياء الكترونيين"، على عكس ما هو معروف عن التضاد بين الشياطين والأنبياء الحقيقيين (المرسلين) حيث من الشائع أن يكون عفاريت الإنترنت من أتباع أحد "أنبياء" التواصل الاجتماعي¹ فيدعمون وجهة نظره، ويدخلون في مهارات ومشاكسات لتأييده دون الأخذ بالحسبان الأدلة أو البراهين التي قد تدحض وجهات نظرهم وأفكار "نبيهم الإلكتروني". وقد يكون "النبي الإلكتروني" نفسه "شيطانياً إلكترونياً" في نفس الوقت، تبعاً لمصلحته.
- إذا ما تجرأ أحد على مخالفة أو مناظرة أو مقارعة أحد متبيني التواصل الاجتماعي حول بعض أفكاره أو ضعف حجته، فإن "النبي الإلكتروني" يطلب الفرقة من أتباعه (مثلاً بإعادة تغريدة، أو غمز أو لمز إلى خصمه، إلخ)، فيأتيه العون والمدد وينهال سخط أتباعه على غريمه بالتقريع والتسفيه والشتائم، بغض النظر عن صحة أو خطأ رأي متبوعهم "النبي الإلكتروني".
- العمل على تشويه السمعة والتقليل من شأن خصومهم فكرياً أو سياسياً أو عقائدياً بتصديد الأخطاء وتقديمها على أنها حقائق أو مواقف ثابتة، والقذح والذم من خلال التسرع بالحكم على الأشياء.
- العمل على نشر أخبار كاذبة وشائعات قد تصبح قضية رأي عام (أو trend) قبل أن يُكتشف زيفها من حقيقتها.
- شعورهم بالنشوة والانتصار والغرور عندما ينتقدون أو يعترضون على شخصية معروفة أو على من هو أفضل منهم أو على مسؤول لمجرد الاعتراض فقط، كوسيلة لإثبات ذواتهم ووجودهم وإشباعاً لنرجسيتهم وغرورهم.
- الشيطان في تصرفاته على أرض الواقع هو شيطان مضاعف على الإنترنت لوجود هامش أكبر من حرية الكتابة والانتقاد. إذ يكفي أحدهم أن يعرف القراءة والكتابة فيستغل هذه المساحة ليتصرف كما يتصرف في حياته خارج الإنترنت، بل أسوأ بكثير، علماً أن هناك من لا يعرف القراءة والكتابة ولكن يترفع عما يقوم به شياطين الإنترنت ممن يجيدون القراءة والكتابة.
- هوايتهم تضييع الوقت والإغواء على أشياء قليلة القيمة أو غير متعلقة بالموضوع المطروح، وتعكير أي نقاش لمجرد التهويش والترثرة فقط، أو تغيير مساره باتجاه آخر يخدم مصلحتهم أو يشتت الانتباه عن الموضوع المناقش.

- بعض أو كثير منهم قد تكون مهنته أو جزء منها هو الكتابة على وسائل التواصل الاجتماعي، لذلك يحاولون جذب الانتباه بشتى الوسائل، حتى البغيضة منها، بالاستفزاز والاستثارة أو الصراخ، كما يفعل الأطفال لجذب الانتباه إليهم وتحقيق مطالبهم.
- العمل على تغذية وتأجيج مشاعر العنصرية والإثنية والقبلية ورفض الآخر المختلف لوناً أو ديناً أو عرقاً أو لغة أو ثقافة، وتعميم كثير من الصور والأفكار النمطية حول مجتمع أو عرق أو ثقافة ما.
- يبيعون المثالية ويوزعون شهادات وطنية وولاء أو تخوين، فقط لأن أمراً ما قد لا يتوافق مع أهوائهم، وكأنهم هم من صَنَعَ تراب الوطن وماءه وسماءه وجباله ونبته وحيوانه لكي يكون لهم الحق في إسباغ أو نزع صفة الوطن أو الوطنية ممن لا تتوافق آراء هؤلاء مع أولئك. فالوطن هو تلك البقعة من الأرض بمواردها الطبيعية (تراب، جبال، أنهار، أحجار،...) التي ليس لأي إنسان الفضل في إيجادها ليكون وكيلاً حصرياً عليها في فرز الناس إلى "وطنيين" أو "غير وطنيين".
- كثير منهم متقاعد عن العمل، أو ليس لديه أشياء مفيدة يشغل بها وقته، وبعضهم من حملة شهادات عليا (جامعية أو دكتوراه)، أو هكذا يقدمون أنفسهم في صفحاتهم وملفات تعريفهم في وسائل "التواصل الاجتماعي"، ربما كنوع من التعويض عن الشعور بالنقص وعدم الثقة بالنفس المحسوس داخلياً، أو استجابة لنداء أنانية مرضية قوية في حب الظهور والتمايز والتعالي، فيستخدمون الألقاب الطنانة لتعويض ذلك النقص لإرواء ظمأهم الغروري. وعوضاً عن أن يكرسوا أوقاتهم في أشياء مفيدة لهم ولمجتمعهم ولمحيطهم، بممارسة هوايات تقوي أجسامهم وعقولهم كالقراءة والرياضة والمشي، تجدهم متحلقين في مجالس شيطنة، خلف أحد أنبيائهم الإلكترونيين المزهو بكثرة أتباعه، يُشيطنون زبداً ويُولَّهون عمرواً، ويذمّون هذا ويغتابون ذاك، عن جهالة ونرجسية وسطحية لا تليق بالإنسان عامة ولا بالمتعلم خاصة. (وإن كان المولعون بالألقاب يحبون رؤية شغفهم بها لدى أبنائهم، فإني أقترح عليهم من باب الدعاية تسمية أبنائهم أسماء مركبة مسبوقة بالألقاب المغرمين بها، كأن يسمى أحدهم، مثلاً، ابنه "دكتور فلان"، و "مهندس علان"، إلخ بحيث تصبح هذه الألقاب اسماً أو جزءاً من اسم العلم، ولكن تجنباً لأي ضرر أو حرج قد يسببونه لأبنائهم بسبب مثل هذه الأسماء، وهم لا ذنب لهم في غرور وجهالة وشيطنة آبائهم، يُمكنهم أن يغيروا أسماءهم، هم، مسبقة بتلك الألقاب، فيوفرون على أنفسهم عناء الدراسة وتكاليف الحصول على شهادات، وليرقصوا وليطربوا بعد ذلك على أنغام تلك الألقاب صباح مساء).
- كثيراً ما يستخدم شياطين الإنترنت في ملفاتهم الشخصية صوراً لمسؤولين أو شخصيات معروفة يعتبرونها قدوة، أو ربما كنوع من التمترس أو إظهاراً وتباهياً للولاء والافتخار، أو بالعكس، يضعون صوراً لشخصيات أو رموز يعتبرونها موضع سخرية واستهزاء وازدراء. وفي الحالة الأولى، فهي إساءة صريحة لصاحب

الصورة أكثر منها ولاءً أو إخلاصاً له، لأن الشيطان الإلكتروني بتصرفه هذا يعمل على ربط سوء أفعاله مع صاحب الصورة التي يستخدمها، بشكل واعٍ أو غير واعٍ. فمن يقرأ أو يسمع مراراً كلاماً فاحشاً أو سيئاً مرتبطاً بصورة ما، مهما تكن نقية أو مثالية، فقد يتولد لديه شعور مضاد أو حائق، ليس على كاتب الكلام الفاحش أو قائله فقط، وإنما على صاحب الصورة المرتبطة بها أيضاً، التي يستخدمها الشيطان الإلكتروني في ملف تعريفه. أما في الحالة الثانية (السخرية من شخصية معروفة) فهي إساءة لصاحب الحساب نفسه وجعل منه لأن الساهر والمستهزئ بغرض التحقير والازدراء هو إنسان أقرب للحق والعجرفة والتكبر والجهل.

كلمات مفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي، وسائل التواصل الاجتماعي، ميزات شبكات التواصل الاجتماعي، فوائد شبكات التواصل الاجتماعي، ميزات وعيوب وسائل التواصل الاجتماعي، عيوب شبكات التواصل الاجتماعي، أضرار شبكات التواصل الاجتماعي، أنبياء تويتر، أنبياء فيسبوك، الأنبياء الإلكترونيون، أنبياء الكترونيون، ترول، الذباب الإلكتروني، شياطين الإنترنت، عفريت الإنترنت، أنبياء التواصل الاجتماعي، شياطين التواصل الاجتماعي، ذباب إلكتروني.

References

مراجع

1. Moustafa, Khaled. 2018. "أنبياء التواصل الاجتماعي: يُتبعون ولا يتبعون." Arabixiv. DOI: <https://doi.org/10.31221/osf.io/95sjx>